

بدل رفو يوقع بشفشاون ديوانه الجديد:

" لالش..بلاد لاتتبع على خرائط الحقد"

من بعيد أتى ديوان "لالش..بلاد لاتتبع على خرائط الحقد" قاطعا المسافات، من بلاد الراقدين، التاريخ والحضارة، وتحديدا من دهبك حيث طبع وصدر، مروراً بفترات المساوية حيث اختمرت وانبجست معظم قصائده، وصولاً إلى شفشاون المغربية حيث وقع النسخ الخمس والعشرين للديوان صاحبه بدل رفو بدفء مداد الاعتزاز. دهبك، غراتس، شفشاون مدن احتفى بها بقوة الديوان دون أن ينسى مدنا أخرى وشمت بناط القلب؛ إنها تختصر رحلة غربة طويلة وبحث عن شمس الحرية وتوق مستدام إلى مرائع سلام.

قبل أشهر من هذا الصيف الذي حل، قبل أوامه، قانظاً ومختلفاً حدثني الصديق الشاعر الرحالة بدل رفو عن وحشته المتهبة لزيارة شفشاون، وعن مشاريعه الجديدة، ونبته في حياة شفشاون مدينته الأثيرة، في بلاد العرب المتعبة، لقص السبق في الاحتفاء بديوانه الجديد الذي يحتوي من خلاله بشفشاون ضمن المدن الأقرب إلى قلبه، المدن التي تعانق أوجاع ذكرياته وألوان أحلامه وأشراقات آماله...

على صوت فيروز الذي يقطر حنيناً وأسى وحلماً، وماء وخضرة وظلا، تصفحت قصائد الديوان التي تفوق التسعين ساعات، حتى تملكني خدر شفيف، إنها قصائد تعلي من شأن الشعر كضرورة وجود يقاوم دون هواده محافل الرداءة والسلب والظلم والاستيلاء والحقارة... بدل رفو في ديوانه "لالش..بلاد لاتتبع على خرائط الحقد" لا يدهن أو يرواغ، إنه يختار بوضوح معركته وخندقه وسلاحه، إنه يسير على خطى ولوركا وبيرودا والجواهري ورسول حزاتوف، في رسم باشتياق ولوعة، وهو يجترق بغربة المناقي، وطناً يمجد الحرية ويدعو إلى قيم التسامح والاختلاف وينحاز إلى الفقراء والمحرومين والمسنين...، وتيمة الاعتزاب أو الغربة أو المنفى، وهي أساسية في الديوان لا تقتصر لديه بالبكائية أو الإهزامية، بالدعة أو الخذلان أو النسيان، فهي على العكس من ذلك جسر لاشتعال الذكرى، للانتصار للوطن، للاتصاق بالتراب، لأسطرة الرموز والأمكنة والجذور والأصول...

قبل أن يأخذ بدل رفو مقعده أمام تلك الطاولة البسيطة تحت ظلال الأشجار السامقة والتي أتى منها بتأثر كلمته ومقاطع من قصائده، حظي شاعر المغرب الكبير عبدالكريم الطبال من شمس المقعد بشرف تقديم احتفالية توقيع الديوان، فأوماً، كما حكى لي الراحلان عبداللطيف وعبدالعزیز، بذكائه الشعري والإنساني المهود أنه التقى ببدل رفو صاحب الديوان المحتفى به قبل أن يلتقيه مادياً، والشعر روح ترفرف في السماوات، إذ تذكر السي عبدالكريم، ابن شفشاون الأصيل ورمزها الشعري الأثيل، أنه كان ضيفاً على العراق ومهرجانه "المريد" عدة مرات، مثنياً على كرم أهل هذا البلد العربي العزيز على كل القلوب، والذي يتميز بعراقة ثقافته وتنوعها وخصب حضارته وأصالتها التي أجمت غيرة وحسد وحقد المفرضين..

احتفالية توقيع الديوان التي احتضنها فضاء الخيم البلدي أزيلان بشفشاون، والتي حضرها أصدقاء الشاعر من حرفيين وتجار وفنانين ومبدعين وإعلاميين وجمعويين...، مرت في أجواء أخوية باذخة اتسمت بالبساطة والعفوية، فأخرجتنا من قيود البروتوكولات الرسمية وأنستنا تعقيدات المؤسسة الثقافية وتراتبياها الواهية.

من سيقراً ديوان "لالش..بلاد لاتتبع على خرائط الحقد" الذي أصدره مركز لالش الثقافي والاجتماعي وطبع بدهوك سنة 2022 بإخراج فني جميل وتصميم للغلاف- يذكر بزرقه وبياض شفشاون- من طرف هكار فندي، لن يخطئ، بلاشك، في التعرف على المعدن الإنساني الأصيل الذي صقل منه الشاعر الرحالة بدل رفو الذي يرفض التنكر وراء أقنعة الزيف، فهو متشبث، إلى حد الثألة، بماضيه، حلوه ومره، واتبائه الطبعي، وأرض وطنه القريب البعيد وهوممه وبالوفاء الوارف الشعبي لأمه سيدة التراب...، ويرد الجميل لكل من هو أهل له، رثاء وتذكراً أو ذكراً وعرفاناً واعتزازاً...

وأخيراً قول: هنيتاً للشاعر الرحالة بدل رفو صديق شفشاون بهذا الإصدار الأثيق، وتتمنى له دوام التألق في مساره الإبداعي وموفور الصحة والعافية في رحلته النضالية، رحلتنا جميعاً، فيما تبقى من خريف العمر...

عبدالحمي مفتاح

شفشاون/ المغرب